المجاور لبطليوس، وكان فيه جملة ذميمة باقية من النصارى أصحاب جرانده اللعين[1] فنازلوا الحصن، وتغلبوا عليه في الحين، وعلى مَن كان باقياً فيه من الكافرين، فاجتمع لهم خيران وميران ونصران. وأن القنطرة المصنوعة مما تمصَّرت بها إشبيلية واطريانة وحصل للناس بتسهيل العبور عليها غبطة واتّصال [320] وأمنة وآل، كما حصل لأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه فيها من الأثر الجميل، والأجر الجزيل، على اتصال الأزمان، ومرور الحدثان، ما لم يتقدم قبله لملك من أهل الطوائف، ولا من الخلائف[2]، إذ سبق إلى هذه المنقبة الكريمة في مرافق جواز الناس عليها والعساكر بتيسير الإيناس إلى ما أنعم به، وتمم من عدله وفضله، بتسْبيل المرور عليها للسابلة دون قبالةٍ[3] تؤخذ منهم فيها، أو جعل يستوفيها، فجعل الله هذه الحسنة الباقية إلى يوم القيامة في ميزانه، وأثبتها في الدنيا والآخرة في ديوانه، ورفع الله عن الجائزين قبل من أهل إشبيلية إلى الشرف وإلى الأنظار مشقة عظمى، وأنالهم بهذا النظر الدقيق الرحمة والرحمى. وفي هذا الشهر أيضاً من هذه السنة المؤرخة أمر أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيضاً ببناء قصوره المكرمة السعيدة المعروفة بالبحيرة[4] خارج باب جهور[5] من إشبيلية، في الموضع المعروف

* من المخطوط فالتبس لبيون بليون مع أن القصد إلى الأول لأن منطقة ليون في شمال اسبانيا
Huici page 232-233-252 T. I.

(1) أنظر التعليق رقم 2 صفحة 274.

(2) اعتدنا من ابن صاحب الصلاة في أغلب أحاديثه عدم التعرض للماضين، ولكنه لم يسْلم أحياناً ـ تحت تأثير ظروفه ـ من أن يتخطى هذه العادة.

(3) أنظر التعليق رقم 3 ص 166.

(4) عرف الموحدون بالبحيرات سواء بمدينة مراكش، أو مدينة اشبيلية ويقول المؤرخ المسيحي Morgado في كتابه «تاريخ اشبيلية» ـ ص 48: أنه في الموضع الذي كانت فيه قصور الملوك المسلمين بضواحي المدينة يوجد هناك ميدان واسع كانت توجد فيه على أيامهم «بحيرة» أطلقوا عليها هذا الأسم لكثرة مياهها التي كانت تنصب إلى الوادي الكبير.
راجع التعليق رقم 4 صفحة 293.

(5) راجع التعليق رقم 3 ص 167.

عند الناس قديماً بلقم فرعون[1]، واختط بحيرته منه في الجنان المنسوب لابن مسلمة القرطبي[2]، بعد أن عوض عقبه منها بعوض صحيح من الجنات مثلها، فحل له البناء في الموضع المذكور، فابتنى فيه قصوراً[3] ودوراً للأمر

(1) (لقم فرعون) لم نستطع تحديد موقع هذا المكان واكتفى ميلتشور بترجمته هكذا:
Bocado de Faron.

(2) لم يرد ذكر مسلمة القرطبي أكثر من هذه المرة، ولذا لم نعرفه بغير هذا سيما ومعاجم رجال الموحدين تخذلنا أيضاً في الموضوع.

(3) اهتم المؤرخون والأثريون على السواء بقصور اشبيلية القديمة، وان المعلومات الهامة التي تضمنها تاريخ (المن بالإمامة) والتي استأثر بها سائر المصادر لمن شأنها أن تلقي الضوء على كثير من الجوانب الغامضة حول قصور اشبيلية، ومعلومٌ أنه كان في اشبيلية أواخر عصر الخلافة الأموية قصر كبير، وإنه عندما بدأ عصر ملوك الطوائف اتخذ من ذلك القصر مقر الاجتماع رجال الحكم ولدى سنة 414 كان يسكن في هذا القصر الخليفة الذي أقامه القاضي ابن عباد، ويتجلى كذلك من خلال المصادر المختلفة ان المعتمد بن عباد أنشأ في اشبيلية عدة قصور رفيعة:
(القصر المبارك) (والقصر المكرم)، وقصر الثريا والقصر الزاهي. . . وقد ظل شاخصاً إلى سنة 621 كما يقول المراكشي (ص 125)، الأمر الذي يؤكد أن قصور الموحدين لم تقم في نفس الموضع الذي كان يقوم قصر ابن عباد كما يرى بعض المؤرخين. وقد ورد أيضاً في مَنّ ابن صاحب الصلاة (136 — 163) أن الخليفة أنزل ابن مردنيش في قصر المعتمد بن عباد (صفحة 328) هذا إلى ما يلوح من خلال تاريخ المن بالإمامة مما يفيد أن قصر الخليفة الموحدي في أشبيلية هو الذي كان يجاور مباشرةً المسجد الجامع لا يفصل بينهما إلا الساباط (صفحة 332). هذا القصر الذي يحتفظ بجلّ معالمه حتى اليوم. أما قصور البحيرة التي يتحدث عنها ابن صاحب الصلاة فإنها كانت خارج أشبيلية محفّة بالبساتين والجنات، وكان العاهل الموحدي يختلف إليها من القصر المجاور للمسجد. (ص 322) ولم يشر مؤرخ عربي بما فيهم ابن صاحب الصلاة إلى أن منشيء ذلك القصر هو يوسف بن عبد المؤمن والظاهر أن هذا القصر أحد قصور المعتمد بن عباد ولعله (قصر المكرم)، ويفرق ابن صاحب الصلاة بين قصر يوسف داخل القصبة العتيقة من أشبيلية الذي كان تجري فيه الاستقبالات الرسمية ـ (ص 385)، وبين قصر المعتمد الذي قد يكون (قصر المبارك) والذي كان قصراً للضيافة، ويتلخص من كل هذا أن القصر المجاور للمسجد هو للمعتمد مع القصر المنسوب إليه صراحة في مَنّ ابن صاحب الصلاة، وأن قصور البحيرة خارج باب جهور هي التي كانت للموحدين، هذه القصور التي لم يبق منها أثر الآن، هذا ولا ينبغي أن نخلط بين القصر المباشر للمسجد وبين الحصن الذي جدده يعقوب على ضفة الوادي بعد عودته من غزاة شِلب والذي يعرف بحصن الفرج. (المراكشي ص 280 — 292). ومع كل هذا فإن قصر أشبيلية ما يزال محتاجاً لمزيد بحث يستوحي من عاملين اثنين: العامل التاريخي والعامل الفني.
المراكشي، المعجب ص 125 — 280 — 292، مخطوط ابن عذاري ص 185.

تُربي على مباني أخيه السيد الأعلى أبي حفص التي ابتناها محمد بن المعلم المشرف له، على وادي إشبيلية خارج باب الكحل منها، التي أوجبت النقد على محمدٍ [321] بن المعلم المذكور، وأمر أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه أبا القاسم أحمد بن محمد الحوفي القاضي [1] وأبا بكر محمد بن يحيى بن الحذا[2] الإمام بمسجده الموثق، لأمانتهما وديانتهما ومعرفتهما بالمساحة، والتكسير والفلاحة، أن يختطا له ما يتصل بهذه القصور والمباني من الأرض البيضا حواليها من مال المخزن ما يحسِّن مسكنها لغرس الزيتون والأشجار والأعناب ولغرس الفواكه العجيبة من كلِّ الأنواع المستغربة العِذاب، فاختطا ما أُمِرَا به من ذلك، ودخل للناس من أهل إشبيلية في هذا الاختطاط أرضٌ من أملاكهم وجنات ومواضع مُعتبطات عَـوَّضهم أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين منها أرضاً بأرض، وبقيمة وافية من العين الفرض، حتى رضُوا واغتبطوا، وأشهدوا برضاهم على أنفسهم وارتبطوا، وجرى أمرها على العدل التام، والنظر العام، وكان لمحمد بن منظور[3] في هذه الأرض

= ابن صاحب الصلاة صفحة 320 و 322 و 328 و 332 و 333.

Melchor Antona: Seville y sus monumen, tos àrabes (publiqados en Religion y cultura, El Escorial 1930, page 61-83.

راجع التعليق رقم 2 ص 40.

(1) هو أحمد بن محمد بن خلف بن عبد العزيز القلعي المعروف بالحوفي، الفقيه الأشبيلي المشهور وقد كان تلميذاً لابن العربي، تولى قضاء أشبيلية بعد أبي بكر الغافقي مرتين وتخصص في العقود والمواريث وكتب فيها كتاباً ممتازاً، توفي في شعبان سنة 588هـ.
التكملة (نشر ابن شنب) رقم 227 ـ التكملة نشر العطار رقم 592. ابن فرحون: الديباج المذهب ص 54. أنظر التعليق رقم 2 ص 69.

(2) هو محمد بن يحيى بن محمد بن متوكل التَّميمي من أهل أشبيلية وأصله من قرطبة ويعرف بابن الحذاء وهو من بيت أبي عمر القاضي يكنى أبا بكر. روى عن أبي محمد بن عتاب وكان موثقاً أخذ عنه أبو علي الشلوبين توفي سنة 600.
التكملة (كوديرا) رقم 881 ـ ابن فرحون ـ الديباج ص 302-303.

(3) لم نجد شيئاً عن ابن منظور هذا فيما نتوفر عليه من مصادر على أن بيت بني منظور مغمور بالنباهة، أثيل المجد المشهور بالأندلس، معروف بالعلم في أشبيلية ثم مالقة وغيرهما، وقد خصص بكتاب (الروض المنظور في أخبار بني منظور) ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد أبي عيسى قاضي المعتمد =

المحوزة أرض عدد مراجعها[1] نحو الثمان مائة مرجع قدَّرا قيمتها له، فعوضه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين منها أرضاً غبيطة بالموضع المعروف بجزيرة السباع[2] المتصل بجزيرة قبطيل[3] ، على ضفَّة الوادي من جهة الشَّرف فباعها من إبراهيم بن رواحة[4] بثلاثة آلاف مثقال سكية[5]. ونفذ الأمر العالي إلى أهل الأنظار بالشوف بقلع أصول الزيتون المختارة من الألوان بمال المخزن أنماه الله واستجلابها إلى [322] البُحيرة المذكورة للاغتراس، فجلبوا منها عشرات الآلاف، وتعاون في ذلك أشياخ البوادي بالنظر بينهم: الآلاف منهم مع الآلاف، فغرست على نسق عاماً بعد عام، على خير وإنعام. وكان أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين يخرج من قصره بإشبيلية راكباً مع أعيان الموحدين أعزهم الله للتطلع على الخدمة فيها وغرسها، وللتأنس برؤية ذلك من أنسها. وتفرَّد العريف أحمد بن باسه[6] عريف البنائين بالأندلس في ابتناء

= ابن عباد على قرطبة (تـ 464) وأما الجمال أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأفريقي قاضي طرابلس (المصري، الوفاة ـ 630 ـ 711) مختصر الكتب المطولة المشهور بأكبرها (لسان العرب) فهو أنصاري ينتسب لرويفع بن ثابت.
عبد الكريم بن الحسني: بيُوت العلم (مخطوط).

(1) جمع مرجع اسم مقياس زراعي اختلف تقديره باختلاف النواحي، فقد نجده عبارة عن خمس خطوات وثمن الخطوة أو ثمانية أذرع وثلث الذراع، وقد يقدر بخمسمائة وعشرين متراً مربعاً، ومن هذه الكلمة وردت العبارة الغرناطية مرجال الذي يعني الجزء التاسع من (Fanega) في أرض، وفي غرناطة كان هناك مقياس يسمى المرجع العملي. Dozy T. I. page 503.

(2) (isla de los leones) هكذا فقط ترجمها الأب ميلتشور.

(3) لم يضف ميلتشور شيئاً على ترجمة الكلمة: (isla de captil) وهذ المكان هو المعروف في التاريخ تحت اسم (Captel). . .

(4) لم نقف على التعريف بابن رواحة الذي لم يرد ذكره أكثر من هذه المرة في هذا السفر.
Dozy. T. I. page 665 — 666.

(5) نسبة إلى السكة بمعنى العُملة.

(6) ظل هذا المهندس الخبير عمدة الموحدين في مشاريعهم العمرانية سواء في جبل طارق أو قرطبة أو قصور البحيرة، ويضبط في المصادر الاسبانية بضم السين، وهذا الاسم ما تزال بعض الأسر تحمله بمدينة فاس وهي مشهورة بخبرتها في البناء، راجع التعليق رقم 1 ص 86.
راجع التعليق رقم 5 ص 85.

القصور المذكورة من البُحيرة حتى كملت فجاءت من الحسن يحار فيها الوصْف، ويشتغل بها عن الفرض الطرف! أربت على مباني الخورنق والسدير، وطلعت بباب جهور كالبدر المنير، وواصَل بالبناء حواليها بالحيطان المبنية بالجيار والرمل والحصى من جهاتها، وجميع جنباتها. وكان الملتزم للحفر في غرس البحيرة المذكورة الشيخ أبو داود يلول بن جلداسن مُشرف إشبيلية وأعمالها وأمين أمير المؤمنين، وتحت نظره وعمله تقييد الإنفاق في الاغتراس والبناء بالشَّهادة على ذلك في كل يوم، ودواب أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين وعبيده ينقلون عليها الأحجار والآجر والجيار، والثمار والأشجار. وقد تقدم الأمر العالي إلى العمال بأغرناطة ووادي آش أن يجلبوا إلى هذه البُحَيرة ضروب الإجاص المسمى عند الأطباء بالكمثري، والإجاص المسمى بالعَبقر، والأزرة[1] والتفاح، فكانت [323] تصل بذلك القطارُ إثْر القطار، بجميع الثمار المختارة للاغتراس وللإثمار، وأبو العلا إدريس الوزير وإبنه يحيى ملتزمان للخدمة بالجلوس على ذلك من وقت شروق الشمس إلى المساء، حتى كمل البناء والعمل وانتهى غاية الانتهاء، وأحدق البناء من جهاتها الأربع بالحيطان تحميها، وتكنفها من الإذاية في نواحيها، بحيطان عالية؛ ومبان سامية.

(1) يذكر ابن صاحب الصلاة ثلاثة أنواع من أنواع الإجاص الكمثرى والعبقر والأزد. وقد ذكر ابن العوام الأشبيلي أن الكمثري نوعان جبلي وبستاني قال: وهو أنواع منه السكري والذكري والقرعي والسراجسي، وغير ذلك. ويقول ابن الحشاء أن الإجاص هو المعروف بالمغرب بعين البقر ويسميه صاحب الاستبصار ص 212 بالغبقر بالغين ويترجم ميلتشور الأزرة بكلمة: Peruco وقد عثرت في بعض المصادر على أن الإجاص عند الأطباء يشمل البرقوق، هذا وليس ببعيد أن تكون كلمة العبقر محرفة عن عين البقر. ابن ليوه التجيبي: أصول الفلاحة (أرجوزة تعمل على نشرها الدكتورة أكواراس من جامعة غرناطة). Dosy: Sup T. I. p. 19. راجع التعليق رقم 4 ص 87.

النظر في اجراء الماء لسقي البحيرة ثم توصيله الى داخل اشبيلية لشرب الخاصي والعامي

وإن أمير المؤمنين لما أحكم له بناء ما أسسه، نظر في إجراء الماء لسقي ما غرسه، وكان خارج باب قرمونة في الفحص، على الطريق المسلوكة إلى قرمونة، أثر قديم قد غبر من بنيان ساقية قد علت الأرض عليها وصارت خيطاً في الأرض من حجارة لا يفهم أثره، فخرج إليها الحاج المهندس يعيش وحفر حوالي الأثر المذكور، فإذا به أثر سرب قد جلب فيه الماء قديماً إلى اشبيلية من عمل الأوائل الملوك من الروم الماضية، والقرون الخالية، والطوائف البائدة، والأجيال السالفة، فما زال المهندس يعيش يتتبعه بالحفر بالعدانين والفعلة بالمِئيين من الرجال والخدام معه حتى أوقعه الحَفْرُ في العَيْن القديمة [324] المسمّاة عند أهْل اشبيلية وأهل أنظارها بعين الغبَّار[1]، مضت الدهور بهده الاسمية لَهَا، وإذا بالماء في تلك العين ليست بعين، إنما كانت موضع فتق في طريق السَّرب القديم، فانقطع الماء عند وصول الحفر إلى العين المذكورة عند الناس، وعلم يعيش عند ذلك أن السرب قد تحققه، فتمادى في العمل حتى وجد السرب من الوادي بقرب قلعة جابر[2]. . . فوزن الأرض في ذلك الموضع وساقه على ما وزنه من الأرض حتى إلى البحيرة المذكورة، فسر أمير المؤمنين بذلك، ثم أمر أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه بإجرائه وجلبه إلى داخل اشبيلية الى القصور[3]، ولشرب الناس

(1) اكتفى ميلتشور بترجمة اللفظ: (La fuente Al qapar).

(2) قلعة جابر - (Alcalà de Guadaira) تقع جابر جنوب إشبيلية، على مقربة من قرمونة، وإليها ينسب الشاعر عامر بن خدوش القلعي القائل:

ألا يا سَقَى الرحمان قلعةَ جابر ... فكم ليَ فيها من ليال زَواهر!

هذا وتوجد في الأصل على طرة الكتاب كلمة (هنا بياض) ويلاحظ أن مكان البياض يقرب من السطر فيظهر أن ابن صاحب الصلاة كان يريد تحديد قلعة جابر كان يقول على بعد كذا من إشبيلية. ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب نشر الدكتور شوقي ضيف أول ص 291.

(3) هل القصور التي كانت للمعتمد بن عباد؟ أنظر التعليق رقم 3 صفحة 373.

ومرافقهم على أوفى الفضل منه بكمال الهندسة والتدبير. وأمر ببناء محبس[1] للماء بداخل اشبيلية في حارة ميوربها[2] وجلب إليها الماء المذكور في يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأخرة سنة سبع وستين وخمس مائة، وحضر أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه في عسكر من كبار الموحدين والفقهاء والطلبة، وضربت الطبول على إجرائه والسرور بوصوله إلى محبسه، وانتهائه بداخل اشبيلية بحارة ميور المذكورة.

رجع الخبر

وفي شهر المحرم أيضاً من هذه السنة المؤرخة وصل في عسكر السيد الأعلى أبي حفص بأمره أعيان [325] وفرسان من مرسية مهاجرين راغبين في البيعة والتوبة، فذكر حديثهم للسيد الأعلى، فأذن لهم في الدخول إلى المجلس العالي والسلام للمبايعة، فالتزموها على أتم حقوقها، وأمر لهم بظهائر كتبت لهم بتحرير أموالهم، وتقرير آمالهم، لتشهد لهم بهجرتهم، وبدارهم إلى هذا الأمر العزيز وارتحالهم، فتسامع أهل الشرق بما فعل معهم فجاءوا عند ذلك أفواجاً أفواجاً، وأفراداً وأزواجاً، حتى انفرد صاحبهم ابن سعد وتمادى به فكر إلى القبر واللحد!

---

(1) تختفي مع الأسف معالم هذا الخزان الذي أقامه الحاج يعيش، وينقل المؤرخ الاسباني موركادو في كتابه (تاريخ أشبيلية) ص 95 عن أن مسجد أشبيلية كان يتمتع بنظام دقيق لإجراء الماء وتوزيعه عليه في قنوات تجري تحت أرضه وأن الذي يشاهد هذا النظام العجيب المختفي تحت الأرض ليتعجب منه. هذا ولا يفوتنا أن نعلق على كلام موركادو هذا تعليقاً صغيراً، ذلك أنه نقل هذا الكلام عن ليون الأفريقي، ولعله نقله من غير كتابه (وصف أفريقيا)، فإن هذا الكتاب لا يتضمن شيئاً من هذا الوصف.

(2) يترجمها ميلتشور بالحرف (Mayor) وليس ببعيد في نظري أن يكون الأصل مأخوذاً من اسم صانشو الملقب بالميور (الكبير) Sancho el Mayor.

Olague: Histoire d'Espagne page 150.

ذكر العلة الملازمة له

قال الراوية: لما طال الحصار على محمد بن مردنيش من السيد الأعلى أبي حفص وقلّ من أصحابه عونه، اختلّ ذهنه، وأوقع بوزيريه ابني الجذع بمطالبة عبد الرحمن بن سعيد الغرناطي[1] صاحب المظالم له، عذّبه[2] وجعله في برج دون طعام ولا ماء حتى أكل ثيابه التي كانت عليه ومات! فأفرده أخوه وأصهاره، ومن ظن أنهم أنصاره، وخرج على علته من مرسية زاعماً أنه سيغلب جزيرة شُوْقر، ويأخذ ابن هلال[3] القائم بدعوة الموحدين فيها، فوصلها، واستدعى أخاه أبا الحجاج[4] ليعينه في منازلتها، فوصله وقصّر به، وعجزا جميعاً وأقلعا منها خاسرين خائبَيْن [326] ثم إن أبا الحجاج أخاه المذكور أظهر الإنابة والمبادرة إلى التوحيد، وتحقق محمد بذلك فزادت عِلّته بالذهول، وتوقف أخوه عن عيادته ومخاطبته، فاشتدت علته، وحضرت منيته، فتوفي في العاشر من رجب الفرد من سنة سبع وستين وخمس مائة المؤرخة، وله ثمانيةٌ وأربعون سنة، فانقرضت أيامه، وبادر قواده وأشياخه بالطاعة إلى أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، وعزموا على ابنه هلال[5] بالمخاطبة بالطاعة، والبدار إلى التزام التوحيد مع الجماعة، فخاطب بذلك وقُبل أحسن قبول، وهبّت عليه من الأمر العزيز ريح الصبا والقبول، وأخذ في الحركة إلى إشبيلية بالوصول.

---

(1) من أسرة بني سعيد المعروفة أصحاب قلعة يحصب (Alcalà la Real)، وقد كان يشرف على أعمال البناء في المسجد الجامع هو وأخوه محمد. وكان ينتمي إلى حزب ابن مردنيش فلما مات ابن مردنيش انضم إلى الموحدين وقد ولد في سنة 518 وتوفي سنة 577.
ابن الخطيب الإحاطة مخطوطة الأسكوريال - ورقة 47، راجع التعليق رقم 8 صفحة 179.

(2) كذا في الأصل وهو تساهل من الناسخ فإن الصواب عذبهما أي عذب ابني الجذع . . . حتى أكلا ثيابهما الخ وهو كذلك في ابن عذاري ص 86. راجع الصفحة 388.

(3) راجع التعليق رقم 2 صفحة 319.

(4) هو أبو الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش وقد تقدم في صفحة 195 حديث في هذا الموضوع.

(5) من الآن يظهر في الأفق السياسي هلال بن محمد بن سعد بن مردنيش.

اتفاق الرأي المبارك أن يسير الشيخ الأجل المرحوم أبو حفص إلى مدينة مرسية لثقافها وتأنيس اهلها عند طاعة هلال المذكور.

ونهض الشيخ الأجل المرحوم أبو حفص بعسكر مبارك من الموحدين إليها، فبادروا إلى الخروج إليه والتبرك به ودخلها، وأنَّسهم ووعدهم بالخيرات، ورفع المضرَّات، وأمّل لهم أنفسهم، وغسل ثيابهم من المآثم وأزال دنسهم، فاستقبلوه بالاقتداء لمذهبه ووعظهم في مجلسه معهم بخطبه وكلامه، [327] وأعلمهم أن تقوى الله تعالى وطاعة الخليفة جل ذمامه.

ذكر توحيد هلال بن مردنيش بعد موت أبيه مضطرا ووصوله إلى أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين باشبيلية.

وإنه لما مات ابن مردنيش المذكور بادر ابنه هلال بالوصول إلى الخليفة بعد استقرار الشيخ المرحوم أبي حفص بمرسية وتملكه لها، فوصل مع جميع اخوانه وأصحاب أبيه من القواد والكبراء من أهل الثغور الاجناد عقب شهر رمضان[1] المبارك من هذه السنة، فأخرج أمير المؤمنين الخليفة إلى لقائه أخاه السيد الأجل أبا زكرياء يحيا بن الخليفة رضي الله عنه صاحب بجاية وأخاه أيضاً أبا ابراهيم اسماعيل. مع علية أبناء أشياخ الجماعة من الموحدين أعزهم الله. وتلقوه على أميال من اشبيلية على تبريز جم، وجمع من عسكر الموحدين ضخم، ودخل في صحبتهم إلى القصبة العتيقة إلى مجلس الخليفة رضي الله عنه قرب صلاة المغرب من يوم وصوله، فطلع في الحين هلال رمضان المعظم من عام سبعة وستين المؤرخ، وسلم على الخليفة أبي يعقوب وبايعه وجميع السادات حضور: السيد الأعلى أبو حفص والأخوة كلهم وأشياخ الموحدين وطلبة الحضر [328] فقال القاضي أبو موسى عيسى بن عمران[2]

(1) كذا في الأصل والصواب شعبان كما يبدو في القرائن الآتية.
(2) راجع التعليق رقم 6 صفحة 352.

بعد أن خطب وهنا الحضرة العلية بما وجب لها: يا سيدنا أمير المؤمنين طلع علينا في هذه الليلة هلالان: هلال شهر رمضان، وهلال هذا بالطاعة! فاستحسن أمير المؤمنين كلامه وتبسم له، وانفصل هلال بن مردنيش في ذلك الوقت مع أصحابه، وَقد كان النظر له في موضعٍ لنزوله ونزول أصحابه، فأنزل في قصر[1] محمد بن عباد أمير اشبيلية الرفيع الشأن، العظيم البنيان، وأنزل أصحابه في الدور المتصلة به، وقد أعدت لهم الفرش والبُسُط والمطاعم والمكارم والمشارب والمثارب، وأفهموا أنهم الأقارب والأصاحب، ورحبت بهم المملكة الخلافية، والدولة الإمامية.

ذكر بيعة أجناد شرق الأندلس أصحاب ابن مردنيش الواصلين مع ابنه هلال.

ولما كان صبيحة أول يوم من شهر رمضان المؤرخ المذكور بكر أشياخ الموحدين أعزهم الله وجميع الناس وطلبة الحضر لحضور بيعة أهل الشرق المذكورين، فحين جلس الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنه في مجلسه العالي الكريم خرج الوزير أبو العلا إدريس بن جامع، وأمرهم بالدخول عليه والمثول بين يدَيْه، فدخلوا وسلموا [329] سلام جماعة، ثم بايعوا واحداً بعد آخر وتقدَّمهم شيخهم أبو عثمان سعيد بن عيسى[2] كبير الأجناد المذكورين وصاحب الثغر، والتزموا الطاعة. وواصلوا الجماعة، فلما أكملوا بيعتهم واطمأنوا[3] مجلسهم، رَغِبُوا إلى الخلي: في غزو من جاورهم من بلاد النصارى وبينوا أن مدينة (وبذة)[4] أيسر البلاد للفتح، إذ هي حديثة البنيان قريبة الإسكان، وقالوا: إن سورها غير ممتنع. وإنها دون باب ولا حجاب،

(1) راجع التعليق رقم 3 صفحة 373.
(2) راجع التعليق رقم 3 صفحة 43.
(3) كذا في الأصل ولعل كلمة (في) محذوفة: اطمأنوا في مجلسهم.
(4) راجع التعليق رقم 3 ص 168.

فعزم رضي الله عنه في نفسه على قبول رأيهم ورغبتهم، ووعدهم في هذا المجلس العالي عند انقضاء شهر رمضان المعظم بالصوم بانجاز عدتهم ورأيهم. وقد كان هلال بن محمد انزل البارحة من هذا اليوم في مقر ابن عباد، وأنزلوا بقربه في الديار، فتوالت عليهم البركات مدرة غاية الإدرار، حتى نسوا ما كانوا عهدوه في رياستهم، وابهتوا بما عاينوه لأهل هذا الأمر العزيز من إحسانهم وسياستهم، فاغتبطوا غاية الاغتباط وظهر على وجوههم وهياتهم آية النشاط، واشرح الغزوة أثر هذا إن شاء الله تعالى[1].

خبر ابتداء بناء الجامع الكبير الجديد باشبيلية[2] ومساق الخبر على [330] اختلاف السنين.

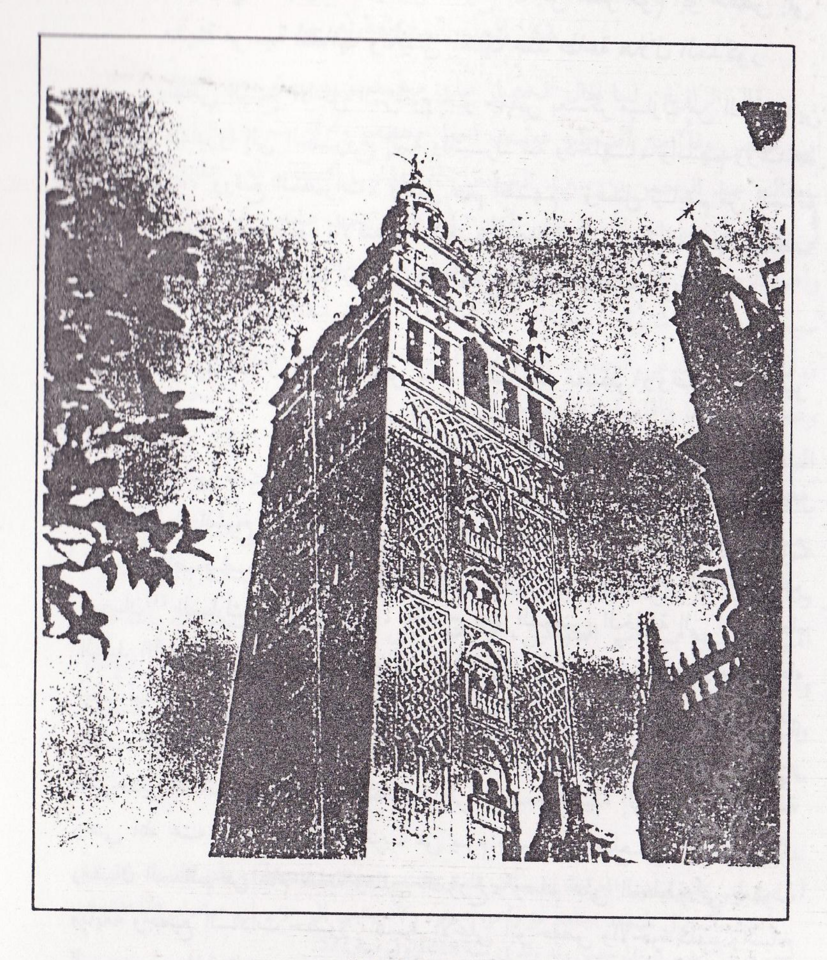
وفي هذه السنة في شهر رمضان ابتدأ أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين باختطاط موضع هذا الجامع العتيق الأنيق، فهدمت الديار في داخل القصبة له، وحضر على ذلك شيخ العرفاء أحمد بن باسه[3] وأصحابه العرفاء البناؤون من أهل اشبيلية، وجميع عرفاء أهل الأندلس، ومعهم عرفاء البنائين من أهل

---

(1) ابتداء من صفحة 260.

(2) أراد الموحدون أن ينافسوا بهذا المسجد مسجد قرطبة العظيم الذي شيده عبد الرحمن الداخل.
دكتور أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها 1961 ص 242 ـ 244.

(3) اشتهر في كتب التاريخ الاسباني الحديث أن اسم المهندس الذي قام ببناء الخيرالدا بأشبيلية مجهول تماماً! وظن بعض المؤرخين أن الذي اضطلع بمهمة بناء المسجد هو جابر بن أفلح الأشبيلي، ولكن ابن صاحب الصلاة وهو شاهد عيان يكشف النقاب عن المهندس العربي الكبير الذي قام ببناء جامع إشبيلية وإقامة الصومعة. إنه أحمد بن باسه الذي لم نر له ذكراً في غير ابن صاحب الصلاة، ونحن نعلم أن هذا المهندس كان مقيماً في أشبيلية ومنها توجه لجبل طارق سنة 555 ثم إلى قرطبة. هذا وأن التشابه الكثير الذي يوجد بين منار أشبيلية ومنارتي حسان في مدينة الرباط والكتبية في مدينة مراكش تحملنا على الاعتقاد بأن المهندس الذي أشرف على بناء كل تلك الصوامع شخص واحد وإن كان هذا الحكم يحتاج إلى كثير من البحث. وأن في أبرز العناصر التي يجب التوفر عليه للحكم الأخير هو الوقوف على ترجمة وافية لأحمد بن باسه.
شكيب أرسلان الحلل السندسية أول ص 240.
Melchor Antona: Sevilla y Sus monumentos arabes, 1930.



جامع اشبيلية

حضْرة مراكش[1] ومدينة فاس وأهل العدوة، فاجتمع باشبيلية منهم ومن أصناف النجارين والنشارين والفعلة لأصناف البناء أعداد، من كل صنف صناعٌ مهرةٌ في كل فن من الأعمال أفراد وكان الذي دعا أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين لبنائه ما خصصه الله به من الدين والورع، وإن يخص اشبيلية بالتمصير والتسكين بأشرف مرأى ومسمع، ولان كان قد قطنها في مصيف ومربع، وكان الموحدون الفاتحون لها قد اتخذوا في قصبتهم بداخل اشبيلية جامعاً صغيراً لصلاتهم في أيامهم وجمعهم، فضاق عند استيطانهم عنهم لتناسلهم وترادف وفود الموحدين إليهم بالعساكر، وكان أيضاً جامع مدينة اشبيلية المعروفة بجامع العَدَبَّس [2] قد ضاق بأهلها، فيصلون في رحابه وافنيته، وفي جوانب الأسواق المتصلة به فيبعد عنهم التكبير بالفريضة، فربما فسدت صلاتهم، ولم تمتد قط فيما سل من الأزمنة همم [331] ملوكهم وأمرائهم في السّيرات إلى توسعته والزِّيادة فيه، للذي كانوا عليه عاكفين من

(1) ترى كيف أن الفن الأندلسي كان لا يستغني بحال عن الفنانين والخبراء من أهل العدوة، ولذلك فقد أسهم هؤلاء بنصيبهم في الفنون المعمارية بالأندلس، وليست تصح الفكرة بأن الأندلس هي وحدها التي كانت تمد الغير. . . وإلا فكيف نفسّر استنفار عمالِ مدينتي مركش وفاس؟

(2) جامع العدبّس ينسب إلى القاضي عمر بن عدبس الذي كان يتولى قضاء إشبيلية في أيام عبد الرحمن بن الحكم، وقد انتقلت منه الخطبة إلى المسجد الكبير، الذي بناه الموحدون، وقد ظل المؤمنون متعلقين أشد التعلق بجامع ابن عدبس نظراً لما له من تاريخ يذكر، فقد نقل أن «المجوس» هاجموا (مسجد إشبيلية) وحاولوا إحراقه سنة 230 لكن فتى خرج عليهم من ناحية المحراب فحال بين النورمانديين وبين ماكانوا يريدون، وبالرغم من أن النقول لا تنص على أن المسجد الذي استهدف لهذا الهجوم هو بالذات جامع بن عدبس لكن القرائن تدل على انهما شيء واحد، وقد وهم بعض المؤرخين ورجال الآثار ممن تحدثوا عن جامع أشبيلية فذكروا أن هذا الجامع أقيم في نفس الموضع الذي كان فيه الجامع الأموي القديم ومع أن ابن صاحب الصلاة صريح - كما سنرى - في خلاف هذا، هذا وقد حرف عَدَبّس عند بروفنصال إلى العباس. ابن الآبار - التكملة رقم 777 ورقم 1908 - ابن الزبير صلة الصلة رقم 275 . المقري ، نفح الطيب سادس ص 40.

وانظر: مجلة الأندلس مجلد 11 سنة 1946 صفحة 425 ومجلد 12 سنة 1947 صفحة 145.

Terrasse La Grande mosquée Almohade de Seville (memorial Henri Basset) page 251.

Provençal: confereces sur l'Espagne Musulmane p. 110.

ميلشور ص 53 — 60.

تهالكهم في الإمارة وهويهم في ضلال الفتنة بينهم، وإهمال المسلمين بغير حماية، لعمارة في دار قراره إلى أن جمع الله تعالى الإسلام بهذا الأمر العزيز بالتَّوحيد بعد فترة، وبهذا الخليفة الإمام أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أبي يعقوب بن الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنهم الذي سمت به الخلافة، وأنافت به المعالم والديانة أعظم إنافة، ووصل لنصر جزيرة الأندلس بعساكره المنصورة، فحاز الذخر والأجر في بناء هذا المسجد الجامع الكبير توسعةً للناس فأسسه من الماء بالآجر والجيار والحصى والأحجار، على أعظم البناء والاقتدار، وأسس أرجله المعقودة بطاقات بلاطاته تحت الأرض أطول مما فوق الأرض، وجمع عليه الفعلة بكثرة الرجال والخدام وإحضار الآلات من الخشب المجلوب من سواحل العدوة، بما لم يقدر عليه ملك من ملوك الأندلس قبله، فأعلى بنيته وصقل صفحته بالإتقان لتشييده وتوثيقته، وأنفذ أمره العالي ببنائه في شهر رمضان من سنة سبع وستين وخمس مائة[1] المؤرخة، لم يرفع البناءَ عنه قط في فصل من فصول السّنين مدة إقامته بإشبيلية إلى أن كمل بالتسقيف، وجاء في أبْهَى المنظر الشريف، وأعجز في بنائه مَن تقدمه، وبقي في ميزانه ذخيرةً ورحمة له [332] مقدّمة، قارب به جامع قرطبة في السِّعة، وليس في الأندلس جامع على قَدْره وسعته، وعدد بلاطاته. . .[2] وكان الناظر أبو داود يلول بن جلداسن خاصة أمير المؤمنين ومشرفه على الأعمال، ومن

(1) هو نفس التاريخ الذي يذكره ابن ابي زرع في القرطاس (جزء ثاني) طبعة الرباط ص 186 والغريب أن صاحب الحلل الموشية يذكر أن ذلك تم سنة 572. أنظر الحلل ص 131 - 132.

(2) هنا بياض في الأصل، ويظهر أن ابن صاحب الصلاة كان يريد أن يعدد البلاطات لكنه لم يتمكن، وقد ضبط دال (عدد) بالضم الأمر الذي يدل على إنه استئناف وليس بعطف على (قدره وسعته) كما فهم الأب ميلتشور. ويعطينا رجال الآثار عدد هذه البلاطات وانها سبعة عشر بلاطة نفس العدد الذي يوجد في الكتبية، وقريباً مما يوجد في منار حسان بالرباط.

Melchor: Sevilla y sus momumentos arabes p. 104.

Terrasse: la grande mosquée de seville page 250.

Caillé: ville de Rabat p. 156.

الحفاز[1] على هذا البناء من أهل إشبيلية أبو بكر بن زهر[2]، وأبو بكر

---

(1) كذا بالزاي وهو ما يوجد في الأصل، وقد قرأه ميلشور (حفاظ).

(2) أسرة (ابن زهر) بالأندلس والمغرب أسرة وافرة تضم عدداً كبيراً من الأطباء والطبيبات علاوة على الفقه والأدب.

أولهم، أبو مروان عبد الملك (الأكبر) بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الأيادي، وهذا هو الذي ترأس الطب في بغداد.

ثانيهم، أبو العلاء زهر بن أبي مروان السابق وقد كان في دولة الملثمين

ثالثهم، أبو مروان عبد الملك (الكبير) بن أبي العلاء، خدم الملثمين، وألف لعبد المؤمن بن علي.

رابعهم، (الجعيد) أبو بكر بن زهر، هو الذي ذكره ابن صاحب الصلاة... خدم الملثمين ثم الموحدين وقد كان يلعب الشطرنج، وكانت أخته وابنة أخته طبيبتين، وقد توفي سنة 595.

ويروى أنه توفي بشكل غريب إثر مفاجأة سارة، وقد أورد صاحب نفح الطيب قصة وفاته وفق ما يلي: ...

ولى واحد مثل فرخ القطاة صغير تخلقت قلبي لديه
وأفردت عنه فيَا وحشتا لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته فيبكي عليّ وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا فمنه إليّ ومني إليه

وأخبرني الطبيب الماهر الثقة العلامة سيدي أبو القاسم ابن محمد الوزير الغساني الأندلسي الأصل الفاسي المولد والنشأة، حكيم حضرة السلطان المنصور بالله الحسني صاحب رضي الله تعالى عنه أن ابن زهر لما قال هذه الأبيات سمعها أمير المؤمنين يعقوب المنصور سلطان المغرب والاندلس أواخر المائة السادسة أرسل المهندسين إلى أشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علماً ببيوت ابن زهر وحارثة ثم يبنوا مثلها بحضرة مراكش، ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة، وفرشها بمثل فرشه، وجعل فيها مثل آلاته، ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه وأسبابه إلى تلك الدار ثم احتال عليه حتى جاء إلى ذلك الموضع، فرآه أشبه شيء ببيته وحارته، فاحتار لذلك، وظن أنه نائم، وأن ذلك أحلام، فقيل له: أدخل البيت الذي يشبه بيتك فدخله، فإذا ولده الذي تشوق إليه يلعب في البيت فحمل له من السرور ما لا [مزيد عليه، ولا] يعبر عنه...» وقد توفى من جراء هذا الحدث السار... أنظر نفح الطيب للمقري. الجزء 2 ص 248 ـ 249.

(3) هو محمد بن عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي Avensoar من أهل إشبيلية، يكنى أبا بكر أخذ عن أبيه وعن جده علم الطب وانفرد بالإمامة فيه مع حظ وافر في الأدب واللغة وحفظ الشعر والمشاركة في سائر العلوم، وقد كان له بمراكش قصر وبها توفي في ذي الحجة سنة 595. ابن الأبار، التكملة رقم 855. راجع التعليق رقم 2 صفحة 324. أشباخ ص 501.

اليناقي[1]، ثم شركهم في النظر عبد الرحمن بن أبي مروان بن سعيد العنسي الغرناطي[2] فظهرت على كتابه وأصحابه خيانة، فعزل وعزلوا واستبدلوا، ورجع النظر إلى أبي داود واستبد به مع خاصته تحت أمره ابراهيم الدباغ[3] مع مشاركة ابن زهر المذكور، وكانت سُرُب المدينة تشق بجريها تحت الأرض على مواضع اختطاط هذا الجامع فنكِّبت عنه، وأخرجت بطريقها منه وصرفت إلى جهة الجوف منه على أوسع مجرى وواثق مَسْرَى على سَرَب واسع وعمل بأعداد من الرجال على أوثق البناء تحت الأرض جارٍ إلى الوادي تحت الأرض قاطع[4]. واهتبل العرفاء واستعرفوا، وتحدقوا في بناء القبة التي على محرابه أعظم الاهتبال، في العمل بصنعه الجبس[5] والاقباء بالبناء ونجارة الخشب بغاية الاحتِفال، وأقبوا يسار المحراب سابَاطاً في الحائط يمشي في سعةٍ فيه الماشي معداً لخروجِ الخليفة عَلَيْه من [333] القصر إلى هذا الجامع لشهود صلاة الجمعة يُنذر منه المنذر[6] على بابه الخاض الرفيع، وعلى يمين المحراب إقباء في حائط الجامع معقود بالبناء لكون المنبر فيه عند إخراجه للخطبة وإدخاله فيه، وصنع هذا المنبر من أغرب ما قَدر عليه الفعلة من غرابة الصنعة، اتخذ من أكرم الخشب مفصّلاً منقوشاً مرقشاً محكماً بأنواع الصنعة والحكمة في ذلك، من غَريب العمل، وعجيب الشكل والمثل، مرصعاً بالصندل، مجزعاً بالعاج والأبنوس، يتلألأ كالجمر بالشعل، وبصفائح من الذهب والفضة، وأشكال في عمله من الذهب الإبريز يتألق نوراً، ويحسبها

---

(1) لم نقف على ترجمة أبي بكر هذا ولم نهتد لمعلومات أكثر عنه سيما ولم يذكر أكثر من هذه المرة في كتاب ابن صاحب الصلاة.

(2) أفرد ابن الخطيب في الإحاطة لابن سعيد هذا ترجمة حدد فيها مدة اشتغاله في بناء جامع إشبيلية. نسخة الاسكوريال رقم 1674 ورقة 147. راجع التعليق رقم 1 صفحة 379.

(3) يلوح أن الدباغ اسم للعائلة لكن ميلشور ترجمه بالشخص الذي يقوم بعملية الدبغ.

(4) لا يخفى ما في هذا السجع المفتعل من ركاكة واضحة.

(5) صناعة الجبس تعني المقرنص أو المقربص في اصطلاح المغاربة «Les stalactites». التازي: مجلة كلية الآداب لجامعة الاسكندرية 1960 ص 65.

(6) يعني من هذا الساباط تنطلق الإشارات بخروج الخليفة، وقد قرأه ميلشور هكذا (النذر).

الناظر لها في الليل البهيم بدوراً، ثم أردفت له بالعمل المقصورة[1] من أحسن الخشب مختصرة من قضبه، وثيقة لحجبه، وكان الخليفة يتطلع بناءه في أكثر الأيام بنفسه، فيصل لرؤيته ومعه أخوه السيد الأعلى أبو حفص، مع أعلام اخوته وأشياخ مملكته، ووزيره ووجوه رجاله من طلبته وأهل دولته، ويشير لهم بالجد في البناء، والوثاقة فيه والاستعلاء، والعكوف بعمل الأمانة والديانة وترك الأهواء، ويعطيهم البركات، ويعدهم على ذلك العمل بالصِّلات، حتى انكملت جهاته الأربع بالبناء، وعقد الأقواس منه بالاقباء، وكمل التسقيف، ثم حان انصراف أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى حضرته مراكش في الرابع عشر [334] من شهر شعبان المبارك من عام أحد وسبعين وخمس مائة، وأمر بتسريح العرفاء والبنائين والصباغ[2] إلى مواطنهم، فكانت المدة في بنائه ثلاثة أعوام وأحد عَشر شهراً قمرية وتحرك أمير المؤمنين إلى حركته المذكورة.

قال المؤلف: وفي المثل «الحديث شجون»[3] ولما ذكرت بناء هذا الجامع الكبير اندرج مع ذكره جامع إشبيلية المعروف بجامع عدَبّس عند أهل إشبيلية فدامت الخطبة فيه على ما كانت في مدة إقامة أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بالأندلس إلى ما أذكره.

ذكر الأمر بالخطبة يوم الجمعة في الجامع الجديد الكبير بالقصبة وانتقال الخطبة من الجامع المنسوب لعمر بن عدبّس باشبيلية.

قال المؤلف ولما انصرف السيد الوالي على اشبيلية: أبو اسحاق ابراهيم[4] بن أمير المؤمنين أبي يعقوب بن الخليفة أمير المؤمنين رضي الله

(1) الحاجز الخشبي الذي اعتيد نصبه على باب المحراب لصلاة الخلفاء.
(2) كذا في الأصل وقد قرأه ميلشور الصناع.
(3) يشعر ابن صاحب الصلاة بمقتضيات «الموضوعية» ولذلك فهو يعتذر عن هذه الاستطرادات التي كانت بالنسبة إلينا جد مفيدة.
(4) ذكر أبي اسحاق ابراهيم والياً على أشبيلية تصرف من الناسخ فقد ظل أبو ابراهيم اسماعيل والي =

عنهم من زيارة أبيه من حضرة مراكش إلى اشبيلية يوم السبت الثامن عشر من ذي الحجة، بموافقه[1] الرابع والعشرين من ابريل العجمي، من عام سبعة وسبعين وخمس مائة أنفذ [335] أمر أبيه الذي أَمَرَ به من الزام الناس حضور صلاة الجمعة والخطبة في الجامع المذكور، فكانت أول خطبة خطب فيها على منبره الرفيع يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة، والموفي ثلاثين من ابريل العجمي[2] المؤرخ، من عام سبعة وسبعين وخمس مائة، وكان أولُ خطيب خطب فيه السيد المذكور وأَقَامَ الصلاة للناس فيه أبا القاسم عبد الرحمن بن عفير اللبلي[3] أحد خدام السيد الناسخين له كتبه، وارتفعت في هذا اليوم الخطبة والجمعة من جامع عمر بن عدبّس المذكور باشبيلية وأزيل منبره من موضعه وَنُحِّيَ إلى جانب الحائط الغربي من الجامع المذكور. وكانت المقصورة قد أزيلت أيضاً من موضعها عنه قبل ذلك، وفرقت في بلاطات السقائف الجوفية والشرقية، وذلك يوم الجمعة التاسع عشر من شعبان سنة سبعين وخمسمائة، وكان القاضي عمر بن عديّس قد ابتناه عام أربعة عشر ومئتين للهجرة. والحديث شجون يوجب ادخال ما تقدم مع ما تأخر: ووجد الناس في السارية التي في البلاط الثاني من جهة الشرق المقابل لمحراب الجامع: جامع بن عديّس مكتوباً في السارية المذكورة بخط قديم: يرحم الله الامام عبد الرحمن بن الحكم الأمير العدل المهتدي الآمر ببناء هذا المسجد على يدي عمر بن عدبَّس [336] قاضي أشبيلية سنة أربع عشر ومائتين.

= أشبيلية منذ سنة إحدى وستين وخمسمائة، أما أبو اسحاق ابراهيم فهو والي قرطبة.
المن بالإمامة صفحة 149.
ابن خلدون، المجلد السادس ص 497.
(1) يوافق الرابع والعشرين من ابريل بالضبط.
(2) الموافقة مضبوطة تماماً.
(3) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن عفير الأموي من أهل أشبيلية وأصله من لبلة أخذ عن صهره وعمه أبي الوليد، وابن بشكوال وابن خير بقرطبة وسمع قبل هذا بمدينة فاس من أبي الحسن بن حنين في سنة 568 أخذ عنه الشهاب وخطب بجامع إشبيلية القديم توفي قبل الثمانين وخمسمائة.
ابن الآبار ـ التكملة رقم 1608.

وكتب عبد البر بن[1] هرون. ووصل الأمر[2] أمير المؤمنين أبي يوسف بقراءة سورة إذا جاءك المنافقون في الركعة الثانية من صلاة الجمعة. فصلى بها الخطيب يوم الجمعة الحادي عشر من ربيع الأول عام أحدٍ وتسعين مائة.

ذكر بناء صومعة هذا الجامع

قال المؤلف: وهذه الصومعة الفايت وصفها للناطقين، السابق حديثها إلى المخبرين لا صَوْمَعَة[3] تعدلها في جميع مساجد الأندلس: سمو شخص ورسو أصل، ووثاقة عمل، وبنيان بالآجر، وغرابة صنعة، وبدائع ظاهرة، قد ارتفعت في الجو، وعلتْ في السماء، تظهر للعين على مرحلة[4] من اشبيلية مع كواكب الجوزاء أمر ببنائها أمير المؤمنين أبو يعقوب بن أمير المؤمنين رضي الله عنه عِندَ وصوله إلى اشبيلية في غزوته إلى شنترين في الثالث عشر من صفر من عام ثمانين وخمسمائة. ونزل خارج إشبيلية في البحيرة بمجشر ميلين[5]. فعندما تحرك من اشبيلية إلى الغزوة المذكورة أمر عامله أبا داود يلول بن جلداسن أن يشتغل مدة مغيبه في الغزوة ببناء سور حصين على قصبة إشبيلية يمر من مبدأ بنائه [337] مام رحبة ابن خلدون[6] داخل اشبيلية وببناء

---

(1) عبد البر بن هرون يظهر أنه عامل من عملة البناء.

(2) هنا كلمة أمر ساقطة وكان الأصل هكذا الأمر: أمر أمير المؤمنين.

(3) يوجد بالأصل (بالاصومعة) ويظهر أن (با) زائدة من الناسخ.

(4) المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في يومه، وقد دأب المستشرقون على ترجمتها باليوم، وهو ما فعله هنا ميلتشور. ويفعله دوزي، ثم أن تعبير ابن صاحب الصلاة: «تظهر للعين على مرحلة...» هو نفس التعبير الذي ورد في حولية سان فرنانده و«سلمنقة 1540 الفصل 53».
راجع التعليق رقم 1 ص 127.

(5) مجشر ميلين (Machar milayn) ويظهر هذا الاسم في مجموع الوثائق الأشبيلية حيث يمنح فيه الفونسو العاشر إلى مجلس المدينة عدة قرى بكرومها وأراضيها.
Memorial historico Espagnol I; 13 — 17.

(6) يكتفي ميلشور بترجمة هذا المكان ترجمة حرفية La Explanada de Aben jaldum وهو اسم - بالرغم من أننا لم نتمكن من تحديده بالضبط لكنه يدل على المكانة المرموقة التي كانت لبيت =

صومعة للجامع تكون في اتصال السور مع الجامع المذكور، وبناء دار صنعة[1] للقطائع تتصل من سور القصبة الذي على الوادي بباب القطائع[2] إلى الرجل السفلى المتصلة بباب الكحل فابتدأ أبو داود بهدم الديار وحفر أساس السور أمام الرحبة المذكورة فلم ترم[3] الحال إلا نحو شهر ونصف وتوفي أبو داود، ثم توفي أثر ذلك الخليفة أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين في الغزوة المذكورة على حسب ما أشرحه[4] رضي الله عنه، فلما بويع أمير المؤمنين أبو يوسف باشبيلية بعده أعرض عن بناء السور للقصبة وأمر العامل الذي ولي باشبيلية عوضاً من أبي داود: محمد بن أبي مروان الغرناطي[5] ببناء الصومعة المذكورة وامضاء أمر أبيه في بنائها والجد في عملها، وقد كان العريف أحمد بن باسه فتح أساسها لصق الجامع فوافق فيه بئراً معينة الماء فردمها بالأحجار والجيار، وبلط فوق الماء حتى أمن قعود الأساس المذكور. ونظر في تقييد الانفاق على بنائها العامل المشرف محمد بن سعيد المذكور. فابتدأ بناءها فبناها العريف بالحجر المسمى بالطجون[6] العادي المنقول من سور قصر ابن عباد! وصنعها بغير ادراج، انما يصعد إليها في طريق واسعة للدواب والناس والسدنة[7] [338] ثم عزل ابن سعيد عن العمل بإشبيلية بعد شهور، وتعطل بناؤها إلى

= ابن خلدون في إشبيلية حيث أخذت الساحات تتحلى باسمه وقد قال ابن حيان: إن بيت ابن خلدون لم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية...
ابن خلدون، المجلد السابع ص 799.

(1) حول (دار الصنائع) راجع التعليق رقم 4 ص 90.

(2) باب القطائع أحد أبواب أشبيلية كباب قرمونة وباب جهور وباب الكحل.

(3) كذا في الأصل وهو وإن كان سائغاً لكن الأوضح تدم بالدال.

(4) يعني السفر الثالث، وإنه - حقيقة - لولا هذا الاستطراد لضاعت علينا فوائد جمة.

(5) راجع التعليق رقم 8 ص 179 والتعليق رقم 1 ص 379.

(6) لم نقف على مَدْلُول لكلمة الطاجون، ويشك الأب ميلشور في وجود تصحيف في الكلمة أي الأصل ربما كان الطحون بالحاء ويترجمها بأضراس السبع جاعلاً العادي بمعنى الضاري! ولا يظهر، فقد استعمل ابن صاحب الصلاة كلمة الحجر العادي كثيراً وكان يقصد فيما اعتقد الحجر المعتاد للناس، هذا وقد تكون الكلمة مترجمة عن لفظ اسباني بمعنى الحجر الصلد.

(7) نفس التصميم المتبع في منار حسان برباط الفتح والكتبية بمدينة مراكش.

أن وصل أبو بكر بن زهر من حضرة أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين في عام أربعة وثمانين وقد أمر بإعادة بناء الصومعة المذكورة، وبناء ما اختل في الجامع، فشرع فيها يعمل العريف علي الغماري[1] بالآجر الذي هو من بناء الحجر المذكور، وأصلح ما اختل في الثلاثة بلاطات في الجامع من جهة الشرق وجهة الغرب والجوف وأتقنها، وحصن بناءها، وعدَّل الجامع بالأدراج من جهة الغرب، وسطح حواليه بالحجر الكدان[2]، وصنع في داخل المسقّف شمسيَّات من زجاج وسطحه بالآجر وفي خارجه. ودام في ذلك أعواماً يعمل في الصومعة أحياناً، ويسافر عن إشبيلية إلى الحضرة فيتعطل، ثم يعود البناء في الصومعة وفيه لازم الجلوس بنفسه على البنائين في المُدَد التي كان يعاود فيها البناء. فلما وصل أمير المؤمنين وهزم الله اذفونش الطاغية[3] أهلكه الله على ما ذكرته أمَرَ رضي الله عنه في مدة إقامته بإشبيلية بعمل التفافيح[4] الغريبة الصّنعة، العظيمة الرفعة، الكبيرة الجرم، المذهبة الرسم، الرفيعة الإسم والجسم، فرفعت في منازلها بمحضره، وحضر المهندسون في إعلائها

---

(1) العريف علي الغماري هو الذي ناب هذه المرة عن المهندس أحمد بن باسه ولو أننا عثرنا على ترجمة وافية لحياة علي الغماري الذي قام باكمال بناء صومعة إشبيلية لكان في إمكاننا أن نحكم بصفة قاطعة على باني صومعة حسان، هذا ولا يبعد أن تكون هناك صلة بين هذا المهندس وبين الطبيب سعيد الغماري الاستقصا ثان ص 141.

(2) نوع من الحجر وسط بين الطوب والآجر، وقد اعتيد استعمال هذه الكلمة في تواريخ المغرب القديمة وبفاس إلى الآن حي يعرف بحي الكدان. القرطاس الأول ص 77 ـ دوزي المجلد الثاني ص 450.

(3) يعني بعد غزوة الأرك (Alarcos) الشهيرة التي جرت في شعبان 591.
أشباخ: تاريخ الأندلس ص 33 — 335 — 338.

(4) يقول ابن أبي زرع: «بلغت التفافيح من العظم ما لا يعرف قدره إلا أن الوسطى منها لم تدخل على باب المنار حتى قلعت الرخامة من أسفله... قال ورفعها في أعلى المنار المعلم أبو الليث الصقلي» والعجيب من ابن صاحب الصلاة حيث لم يذكر شيئاً عن أبي الليث هذا، ونحن لا نعرف عن ترجمته إلا ما نقله ميلشور عن فرنانديز في كتابه (المدجنون في قشتالة) من أن أبا الليث هذا هو الذي قام بترجمة كتاب «الشواهد» من الكلدانية إلى العربية وهو الكتاب الذي أمر الفونسو العاشر الملقب بالحكيم بترجمته إلى الاسبانية عن العربية... الناصري الاستقصاء ثاني 174.

على رأيه وبلوغ وطره مَرَكَّبه في عمود عظيم من الحديد مُرسَى [339] أصلُه في بنيان أعلى صومعة الصومعة أعلاها، زنة العمود مائة وأربعون[1]، ربعاً من حديد، موثقاً هناك فيَ تلاحك[2] البُنيان بارز طرفه الحامل لهذه الأشكال المسماة بالتفافيح إلى الهواء، يكابد من زعازع الرياح وصدمات الأمطار ما يطول التعجب منه من مقاومته وثباته، وكان عدد الذهب الذي طليت به هذه التفافيح الثلاث الكبار والرابعة الصغرى سبعة آلاف مثقالاً كباراً يعقوبية[3] عملها الصناع بين يدي أمين أمير المؤمنين وحضوره، ولما كملت سترت بالأغشية من شقاق الكتان لئلَّا ينالها الدنس من الأيدي والغُبار، وحملت على العجل مجرورة إلى الصومعة بالتكبير عليها والتهليل حتى وصلت، ورفعت[4] بالهندسة حتى إلى أعلى صومعة الصومعة المذكورة ووضعت في العمود وحصلت فيه وحصنت بمحضر أمير المؤمنين أبي يوسف المنصور رضي الله عنه، وبمحضر ابنه ولي عهده أبي عبد الله السعيد الناصر[5] لدين الله، وجميع بنيه وأشياخ الموحدين والقاضي وطلبة الحضر وأهل الوجاهة من

---

(1) يذكر صاحب القرطاس أن زنة العمود أربعون ربعاً من الحديد وأنت ترى أن ابن صاحب الصلاة يقول مائة وأربعين.

(2) تلاحك البناء: تلاءم.

(3) نسبة فيما يظهر إلى يعقوب المنصور كما اصطلح بعدُ على نسبة الدنانير إلى يوسف هذا وإن زنة المثقال المتعامل به كما يحرر ابن منظور هي درهم واحد وثلاثة أسباع الدرهم، وإذا عرفنا أن زنة الدرهم بالكرام تساوي 2/95 عرفنا أن وزن الذهب الذي طليت به هذه التفافيح (7000 مثقال) هو بالتقدير الحالي 29 كيلو 505 كرام. ويبقى بعد هذا أن نتساءل هل أن ابن صاحب الصلاة يقصد بالتأكيد «المثقال» المعهود الذي حدده ابن منظور أم أنه يعني مثقالاً من نوع آخر؟ إننا إزاء نعته المثاقيل بأنها «كبار» وبأنها «يعقوبية» لا نجزم تمام الجزم بأن وزن المثقال هو أربعة كرامات و 215... راجع التعليق رقم 5 ص 215.
ابن منظور: لسان العرب مادة مثقال، الناصري، الاستقصا ثان ص 141.
الصبيحي: انبلاج الفجر ص 15 ـ 22.

(4) «رفعت» قد تقضي أنها رفعت في الهواء بآلة لكن نص ابن أبي زرع يؤكد أنها أدخلت من الباب.

(5) هو أمير المؤمنين أبو عبد الله محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور جددت له البيعة أثر وفاة والده سنة خمس وتسعين وخمسمائة وتوفي سنة عشر وستمائة.